

انتصارات إسلامية

فتح بلغراد.. الإسلام في قلب أوروبا

في السادس والعشرين من شهر رمضان عام 927هـ دخل المسلمون فاتحين إلى بلغراد عاصمة الصرب. في عهد الخليفة العثماني سليمان القانوني. أكلت الدولة العثمانية مسيرة الفتوحات والنجاحات المتتالية، التي ورثتها عن دور القوة في الخلافة العباسية وما سبقها. فكانت عملاقاً حضارياً جديداً تغلغل شمالاً وجنوباً، حتى دخل في العمق الأوروبي والعربي، وادانت لسلطته بقاع الأرض في قارات العالم القديم. سبق فتح بلغراد دخول العثمانيين إلى البوسنة والهرسك ومنطقة الجبل الأسود، فلما كان عهد السلطان سليمان القانوني أرسل إلى ملك المجر لويج الثاني سفيرا يدعو إلى الإسلام أو إلى دفع الجزية، فما كان من ملك المجر إلا أن أمر بإعدام السفير، فأمر السلطان بتجهيز الجيوش، وسار هو بنفسه في مقدمة الجيش قاصداً فتح العاصمة بلغراد، وكان له ما أراد.

أهمية الموقع

وقد برزت أهمية الموقع الذي تقوم عليه بلغراد في القرن العاشر الهجري في ذروة الحرب بين الدولة العثمانية والمجر، التي كانت قد أتعشت من جديد الروح الصليبية في أوروبا، على نحو ما أوضح الدكتور محمد الأرنؤاوط في كتابه «تاريخ بلغراد الإسلامية»، فخلال هذا القرن كانت بلغراد القلعة الصمودية للمجر، وأصبحت



رمزاً يعني الكثير لكل أوروبا في صموده أو سقوطه. حاول العثمانيون فتح بلغراد 3 مرات، ولم يتمكنوا من ذلك إلا في المرة الرابعة بعد مرور ما يقرب من قرن من الزمان على محاولتهم الأولى، ويذكر التاريخ أن المحاولة الأولى لفتح بلغراد جرت في عهد السلطان العثماني مراد الثاني سنة 845هـ عندما أعلن البابا «أوجينيوس الرابع» حملة صليبية ضد الأتراك لطردهم من أوروبا، وتوالت محاولات العثمانيين إلى أن اعتلى السلطان القانوني الحكم، ولم ترض عليه إلا ثمانية أشهر حتى قام بحملته الأولى، التي أراد أن تكون وجهتها بلغراد.

تحييد أوروبا عن الحرب بني القانوني موقفه من بلغراد وتصميمه على فتحها على اعتبارات سياسية واستراتيجية عدة، فالملكة المجرية هي الخصم الأكبر للعثمانيين في أوروبا الشرقية، وتمثل سداً منيعاً دون انتشار الإسلام في أوروبا الشرقية، كما استطاع القانوني بحكمته السياسية الكبيرة أن يجيد ذلك الوقت عقد معاهدة تجارية مع العثمانيين، ولم يكن من مصلحتها أن تدخل في حرب ضد العثمانيين، أما الفاتيكان وملك بولندا فلم يجداً مبرراً للتدخل لمساندة بلغراد، كما أن أوروبا

كانت على وشك حالة من الانقسام الديني، بسبب دعوة «مارتن لوثر» الدينية الجديدة التي تزامنت مع بدايات تحرك السلطان القانوني نحو بلغراد. والفرنسيون تصحوا الملك المجري «لويس» بإبرام هدنة مع القانوني كسبا للوقت، أما الألمان فكانوا مشغولين عن مساندة بلغراد ببعض العوامل الداخلية.

استعدادات القانوني

ويوضح د. الأرنؤاوط في كتابه «الإسلام في يوغوسلافيا من بلغراد إلى سراييفو» الترتيبات التي اتخذها سليمان استعداداً لفتح بلغراد، فقد جمع قوات النخبة العثمانية المسماة «السباهية»

بلاد في القرآن

لم يخلق مثلاً في البلاد

إرم ذات العماد.. مدينة على مشارف صحراء الربع الخالي



آثار إرم ذات العماد

أحجار عريضة وطلاء بالذهب وزينه بما ندر وجوده من المعادن والحجارة الملونة الغالية الثمن، وبني فيها الألوف من القصور مزخرفاً بواطنها وظواهرها بأصناف الجواهر، ثم بني لنفسه في وسط المدينة على شاطئ ذلك النهر قصرًا منيفًا يشرف على تلك القصور كلها. وجعل باب المدينة مُنحياً إلى الوادي ونصب عليه بابين من ذهب منقوشين بأنواع النثر، وأمر باتخاذ كرات صغيرة على شكل البندق من مسك وزعفران والقيث في تلك الشوارع، ثم بنى خارج سور المدينة تلالاً كهيئة الجبال تضم الألوف من الأبراج المرتفعة في الهواء المنبثقة بقطع الذهب والفضة ليسكنها جنوده، ومكث في بنائها خمسائة عام.

دعوة إلى الإسلام ولما أذن الله تعالى أن تقام الحجّة على «شده»، وقومه اختار هوداً عليه السلام وكان من صميم قومه وأشرفهم، ثم إن هوداً أتاه فدعاه إلى الإسلام والإقرار بربوبية الله عز وجل ووحده وأبنته وأن الله ليس كمثله شيء، فتمادى شداً في كفره وتباهى بالمدنية التي لم يخلق مثله في البلاد فلم يتّسع لما أمره به «هود» عليه السلام، وذلك حين تمّ ملكه سبعمئة عام، فأنزّل عليه آيات من السماء فأجأت صارت تمشي في سلك بين الشوارع والأزقة تجري بالماء الصافي، وأمر الأنهار، كانت نفسة الأمارة بالسوء فلطيت بالذهب الأحمر، وجعل الحصى المنثور في قيعانها أنواعاً من الجواهر الفريدة الملونة الصفراء والحمراء والخضراء، ونصب على الصفاف أشجاراً من الذهب وعليها ثمارٌ من البواقيت المشعة.

الحجارة الملونة

وجعل طول المدينة 12 فرسخاً وعرضها مثل ذلك وأعلى سورها كثيراً حتى وصل إلى ثلاثمائة ذراع من

حتى نهاية التسعينيات من القرن العشرين كان الكثيرون يجهلون أين وقعت بالضبط أحداث قوم النبي هود عليه السلام حتى كشفت الحفريات الأثرية عن آثار مدينة إرم ذات العماد على حدود اليمن والسعودية على مشارف صحراء الربع الخالي، قال الله تعالى: «الم تر كيف فعل ربك بعاد، إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد»، «الفجر: 6-8».

حسام محمد «القاهرة» - أشار فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الأسبق إلى قول المفسرين إن قوم «عاد» الذين عاشوا في تلك المدينة كانوا طوال القائمة للغاية وكان «لعاد» مؤسس المدينة ابناً هما «شادن» وشديد، فملك بعد والدهما وتجيّراً وظلما في البلاد، وأخذها غنة وقهراً. ولما صفا لهما ذلك واستقرّ قرأهما مات شديداً وبقي شادا، فأكمل غزواته حتى ملك الكثير من الممالك المحيطة به وبشعبه وادانت له ملوكها.

حب الاطلاع

وكان شادا جباراً عنيدا عابداً للأصنام من دون الله ورغم تجرئه كانت لديه ميزة حب الاطلاع وكان ولعا بقراءة الكتب الدينية القديمة وكان كلما مرّ فيها على ذكر الجنة وما أعد الله فيها لأوليائه من قصور الذهب والفضة والمسكن التي تجري من تحتها الأنهار، كانت نفسه الأمارة بالسوء فلطيت بالذهب الأحمر، وجعل الحصى المنثور في قيعانها أنواعاً من الجواهر الفريدة الملونة الصفراء والحمراء والخضراء، ونصب على الصفاف أشجاراً من الذهب وعليها ثمارٌ من البواقيت المشعة.

كتبة الوحي

شارك بالفزوات واستشهد في الفتوحات

أبان بن سعيد من أوائل كتبة الوحي بين يدي الرسول



يعد الصحابي أبان بن سعيد، من أوائل كتبة الوحي بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو الذي أجاز عثمان بن عفان بحبته رسول الله إلى أهل مكة يوم الحديبية، وشارك بالفزوات واستشهد في الفتوحات. وقال فضيلة الشيخ منصور الرفاعي عبيد وكيل وزارة الأوقاف المصرية لشؤون الدعوة الإسبق إن أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأموي، ولد بمكة ونشأ في بيت نعمة وسيادة وصدارة فأبوه من زعماء واکابر قريش، وكان تاجراً موسراً، وأسلم بعد أخويه خالد وعمرو، واختلف في إسلامه، وقيل إن إسلامه كان بعد الحديبية، وقيل: خبير لأن له ذكراً في الصحيح من حديث أبي هريرة في قصة غنائم خيبر، وكان سبب إسلامه أنه خرج يوماً إلى الشام في تجارة له قبل إسلامه، فلقي راهبا، وحكى له ما يفعله الرسول، صلى الله عليه وسلم بمكة، وما يقوله من أن الله أرسله رسولا مثملاً أرسل موسى وعيسى من قبل، فقال له الراهب: وما اسم هذا الرجل؟ فقال له أبان: محمد، فقال الراهب: إنني أصفه لك، وذكر الراهب صفة النبي، ونسبه، وسنه، فقال أبان: هو كذلك، فقال الراهب: والله ليظهرن على العرب، ثم ليظهرن على الأرض، ثم قال لأبان: أقرئ الرجل الصالح السلام.

قصة إسلامه

وأوضح فضيلة الشيخ منصور الرفاعي أنه لما عاد أبان إلى مكة جمع قومه، وذكر لهم ما حدث بينه وبين الراهب، وكف عن إيذاء النبي، عليه الصلاة والسلام، والمسلمين، ولكنه بقي على كفره حتى صلح الحديبية. وقد ظهرت مروته في يوم الصلح حين بعث الرسول، صلى الله عليه وسلم، عثمان بن عفان رضي الله عنه، رسولا إلى قريش بمكة، فأجاره أبان بن سعيد، وحمله على فرسه حتى دخل مكة وقال: اسلك في مكة حيث شئت أمنا، ولا تخف أحدا بنو سعيد أعزة البلد. وأشار إلى ما ذكرته كتب السيرة انه عندما سار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية، خرج إليه المشركون، واتفقوا على الصلح، وعاد الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، فبعثه أبان فأسلم وحسن إسلامه، وروى الواقدي أن أخويه خالد وعمرا، وكانا قد سبقاه إلى الإسلام، لما قدما من هجرة الحبشة إلى المدينة بعثا إليه يدعوانه إلى الله، فبادر وقدم المدينة مسلما سنة 7 هـ. ولما قدم على الرسول، صلى الله عليه وسلم، فقال: «يا أبان كيف تركت أهل مكة؟»، قال: تركتهم وقد جهدوا، يعني المطر، وتركت الإزهار، وهو شجر ذو ثمر، وقد أعذق، وتركت الخمار وقد حاص فاغرورقت عينا النبي، صلى الله عليه وسلم وقال: أنا أنصحكم ثم أبان بعدي.

وبين وكيل وزارة الأوقاف المصرية لشؤون الدعوة الإسبق أن أبان لازم الرسول صلى الله عليه وسلم، يعيش بجواره، ويتلقى القرآن منه ويثقل من علمه، ويصلي معه في نواحي المدينة، وكان من السابقين لا يتأخر عن أي غزوة ولا يتعاس عن جهاد للرسول، صلى الله عليه وسلم، وشهد غزوة حنين في العام السابع للهجرة، كما أرسله في سرية لإرهاب الأعراب المترصين حول المدينة وهو خارج عليه الصلاة والسلام إلى خيبر، وكان احد كتبة الرسول عليه الصلاة والسلام، استعمله في كتابة شؤون الدعوة والوحي القرآني، وقال أبو بكر ابن أبي شيبة: كان أول من كتب الوحي بين يدي رسول الله أبي بن كعب، فإذا لم يحضر كتب زيد بن ثابت، وكتب له عثمان، وخالد بن سعيد، وأبان بن سعيد، هكذا قال، يعني بالمدينة، والا فالسور المكية لم يكن أبي بن كعب حال نزولها، وقد كتبها الصحابة بمكة رضي الله عنهم.

الدولة الإسلامية

كما قال فضيلة الشيخ منصور الرفاعي، بعد أن استقرت الدولة الإسلامية، وفتحت مكة، جعله الرسول عليه الصلاة والسلام واليا على إحدى المناطق سنة 9 هـ، فسأله أبان أن يحالف عبد القيس فأذن له في ذلك، وقال: يا رسول الله أعهد إلى عهد في صدقاتهم وجزيئهم، وما تجروا به، فأمره الرسول، صلى الله عليه وسلم، أن يأخذ من المسلمين ربع العشر مما تجروا به، ومن كل حالم من يهودي أو نصراني أو مجوسي ديناراً، الذكر والأنثى، وظل بالبحرين حتى توفي الرسول صلى الله عليه وسلم، فتركها ورجع إلى المدينة، ولما قابله عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد عودته إلى المدينة قال: «ما كان حقا أن تقدم، وترتك علك بغير إذن إمامك»، فقال أبان: «إني والله ما كنت لأعمل لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كنت عاملا لأحد بعد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كنت عاملا لأبي بكر في فضله وسابقته وقديم إسلامه، ولكن لا أعمل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

واختلف في وفاته، فقال موسى بن عقبة، ومصعب بن الزبير، والزبير بن بكار، وأكثر أهل النسب قتل يوم أحد، يعني في جمادى الأولى سنة 12 هـ، وقال آخرون، قتل يوم مرج الصفر سنة 14 هـ، وقال محمد بن إسحاق، قتل يوم اليرموك، وقيل إنه تأخر إلى أيام عثمان، وكان يملي المصحف الإمام على زيد بن ثابت، ثم توفي سنة 27 هـ، ورجح علماء النسب انه قتل يوم أحد سنة 13 هـ، بالشام.